التناسق الموضوعي في سورة الأعلى

الباحث

د. محمود أحمد دردير سليمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، فرع أسيوط، مصر

التناسق الموضوعي في سورة الأعلى

محمود أحمد دردير سليمان
قسم التفسير وعلوم القرآن ، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر فرع أسيوط ، مصر.
البريد الالكتروني:Mahmoudsouliman.48@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة "التناسق الموضوعي لسورة من سور القرآن"، مسلطًا الضوء على وحدة موضوعاتها وعلاقتها بمحورها الرئيس، ومقصدها الكلي. يهدف البحث إلى إبراز التناسق الدقيق بين آيات السورة، حيث تتناغم موضوعاتها المختلفة مثل الدعوة إلى التسبيح، وذكر النعم الإلهية، والتذكير بالآخرة، وتربية النفس على العبادة والطاعة. كما يتناول البحث أوجه الإعجاز البياني في نظم السورة وترتيب آياتها، مشيرًا إلى كيفية تداخل هذه الموضوعات بشكل يعكس عمق الهدف الإيماني الذي تحققه السورة، من خلال دعوتها إلى التأمل في مظاهر نعم الله تعالى واعتبار الآخرة.

يستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يساعد في تحليل بنية السورة ومواءمة آياتها، مستعرضًا أوجه التناسق والترابط بين موضوعاتها. يُظهر التحليل كيف أن السورة قد رُتِّبَتْ بحيث تؤدي إلى تعزيز الفهم العميق لمراد الله في نصوص القرآن، ويؤكد على أن هذا التناسق الموضوعي يُعد من أبرز أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد، حيث يتم التعريف بسورة الأعلى، ثم المبحث الأول الذي يتناول تعريف التناسق الموضوعي وأثر دراسته في فهم القرآن. يتبعه المبحث الثاني، الذي يشرح التناسق الموضوعي بين آيات السورة ويدرس الترابط بين مضامينها. وفي النهاية، تأتي الخاتمة التي تلخص أهم النتائج والتوصيات التي تم الوصول إليها. كما يتم عرض أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

يختتم البحث بتأكيد أهمية التناسق الموضوعي في القرآن في تعزيز الفهم السليم لنصوصه ورفع درجة التأمل في معانيه.

الكلمات المفتاحية: التناسق، الموضوعي، سورة، الأعلى، تفسير.

The Thematic Cohesion in Surah Al-A'la

Mahamoud Ahmed Dardeer Suleiman
Department of Tafsir and Quranic Sciences, Faculty of Usuluddin and Da'wa, Al-Azhar University, Assiut Branch, Egypt
Email: Mahmoudsouliman.48@azhar.edu.eg

Abstract

This research studies the "thematic cohesion in a Surah from the Qur'an", focusing on the unity of its topics, their relation to the central theme, and the overall purpose of the Surah. The aim of the research is to highlight the precise cohesion between the verses of Surah Al-A'la, where the various themes harmonize, such as the call to glorify Allah, mentioning divine blessings, reminding of the Hereafter, and nurturing the soul toward worship and obedience. The study also discusses the rhetorical miracles in the arrangement and style of the Surah, showing how the interrelation of these themes reflects the profound spiritual objective achieved by the Surah, calling for contemplation of Allah's blessings and the consideration of the Hereafter.

The research adopts a descriptive and analytical approach that aids in analyzing the structure of the Surah and aligns its verses. It examines the cohesion and interrelation between its themes, demonstrating how the Surah has been arranged to enhance the deep understanding of God's intent in the Qur'anic text. This thematic cohesion is presented as one of the remarkable aspects of the Qur'anic miracle.

The research consists of an introduction and a preface, introducing Surah Al-A'la, followed by the first section which defines thematic cohesion and its impact on understanding the Qur'an. The second section explores the thematic cohesion between the verses of Surah Al-A'la and studies the interrelation of its content. The conclusion summarizes the key findings and recommendations. The research also lists the main sources and references used.

The study concludes by emphasizing the importance of thematic cohesion in the Qur'an to promote a proper understanding of its verses and enhance reflection on its meanings.

Keywords: thematic cohesion, Surah, Al-A'la Tafsir,.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد:::**

فإن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة، الذي أنزله هداية للعالمين دائمة، وجعله للشرائع السماوية خاتمة، وتحدى به الإنس والجن، وأعجزهم أن يأتوا بمثله أو ببعضه، وأني يكون لهم ذلك، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ؟!

وهذا التنزيل العزيز وجوه إعجازه متعددة، فهو معجز في أسلوبه ونظمه، ومعجز في تشريعاته وهداياته، ومعجز في قصصه وأمثاله، ومعجز في إخباره عن المغيبات، ويأتي إعجازه البياني في مقدمة جوانب إعجازه، ومن مظاهر هذا الإعجاز : جزالة نظمه وألفاظه، وتناسب سوره وآياته، وتناسق موضوعاته، مع تنوع أساليبه، وتعدد أسباب نزوله، ونزوله منجما على مدى ثلاثة وعشرين عاما، ولا جرم أن في هذا الإحكام والانتظام والتناسب والتناسق أعظم الأدلة على أنه تنزيل من حكيم حميد، وصدق الحق تبارك وتعالى في قوله : {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [النساء: ٨٢]

أسباب اختياري لهذا البحث:

دفعني للكتابة في هذا البحث – بعد إرادة الله –عز وجل– وتوفيقه، وهدايته لي– عدة أمور:

أولا: حاجة الناس اليوم إلى فهم القرآن فهما صحيحا، والنظر إلى أسراره العظيمة، وإعجاز فصاحته، وألفاظه، ومعانيه، ونظم أسلوبه.

ثانيا : دراسة التناسق الموضوعي في السور القرآنية تُعد ردًا قويًا على مزاعم الطاعنين الذين يدّعون زورًا أن القرآن عمل بشري صاغه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويزعمون أن موضوعات السورة الواحدة تفتقر إلى التناسق والترابط.

ثالثا: تعد سورة الأعلى بموضوعاتها المتناسقة، نموذجًا فريدًا للوحدة الموضوعية والإعجاز البياني الذي يستحق الدراسة والتأمل.

رابعا: الكشف عن عظمة هذا التناسق القرآني، ليكون إسهامًا متواضعًا في إظهار جانب من إعجاز القرآن الكريم، وبيان ما فيه من هداية وجمال يرتقي بفهم المتدبر للقرآن.

منهجي في هذا البحث:

سرت -بعون الله- في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي عن طريق تحليل بنية السورة وكشف مظاهر التناسق والترابط العميق بين موضوعاتها المختلفة.

وكانت دراستي فيه على المنهج الآتي:

أولاً : قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وبيان رقمها .

ثانياً : قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، فاذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت في الحكم بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن في الصحيحين ذكرت حكم أحد العلماء عليه من الأئمة وأهل الحديث.

ثالثا: قسمت السورة إلى ثلاث موضوعات، ووضعت عنوانا مناسبا لكل موضوع .

رابعا : أفسر آيات الموضوع الواحد تفسيرًا إجماليًا، مع التركيز على إبراز

التناسب بين الكلمات والجمل والآيات، ثم أتناولها في سياق تناسقها الموضوعي، موضحًا دلالاتها وأثرها في بناء المعنى الكلي.

خامسا: أقوم ببيان التناسق بين كل موضوع وآخر، وربط كل موضوع بما قبله وما بعده، مع التركيز على بلاغة التعبير القرآني في الموضوع الذي يخدم هدف السورة ، أو محورا من محاورها.

سادسا : أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، وأهم التوصيات .

سابعا: قمت بعمل فهارس متعددة ذيلت بها البحث تخدم القارئ في بلوغ مقصوده من البحث.

خطة البحث :اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، ومبحثين، يسبقهما تمهيد، ثم خاتمة.

أما المقدمة :فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، ومنهجي فيه، وخطة البحث .

وأما التمهيد، فيتضمن: التعريف بسورة الأعلى.

المبحث الأول: التعريف بالتناسق الموضوعي وثمرة دراسته. (ويشتمل على مطلبين) :

- **المطلب الأول :** تعريف التناسق الموضوعي.
- **المطلب الثاني :** ثمرة دراسة التناسق الموضوعي في السورة.

المبحث الثاني: التناسق الموضوعي بين آيات سورة الأعلى (وفيه ثلاثة مطالب) :

- **المطلب الأول :** التناسق في التنزيه والخلق والتقدير والهداية وذلك من الآية الأولى إلى نهاية الآية الخامسة.

- **المطلب الثاني :** التناسق في التثبيت والوحي والإعداد للرسالة وذلك من الآية السادسة إلى نهاية الآية الثامنة.
- **المطلب الثالث :** التناسق في الدعوة والإستجابة وعلامات الشقاوة والسعادة وذلك من الآية التاسعة إلى ختام السورة.

الخاتمة: وهى تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات .

التمهيد
التعريف بسورة الأعلى

أولا- أسماء السورة الكريمة:

لقد ورد لهذه السورة عدة أسماء، كلها يدورحول الآية الأولى منها:

- الاسم الأول: سورة الأعلى: و هو الاسم الذى اشتهرت به هذه السورة الكريمة، وبذلك كتبت في المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها بسورة الأعلى لمفتتحها[1] بقوله تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } [الأعلى: ١] ، وهو تنزيه لله عزّ وجلّ عن كل نقص.

- الاسم الثاني: سورة سبح اسم ربك الأعلى: وهو الاسم الذى ورد بالسنة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم **وأصحابه، أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله** -رضي الله عنه- **أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْأَنْصَارِيُّ لِأَصْحَابِهِ الْعِشَاءَ، فَطَوَّلَ عَلَيْهِمْ فَانْصَرَفَ رَجُلٌ مِنَّا، فَصَلَّى فَأُخْبِرَ مُعَاذٌ عَنْهُ فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وسلم **فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ مُعَاذٌ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ** صلى الله عليه وسلم: **«أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ فَتَّانًا يَا مُعَاذُ؟ إِذَا أَمَمْتَ النَّاسَ فَاقْرَأْ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»** [2]**، ووجه التسمية بذلك : أنها تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها.**

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/٥١٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب (القراءة في العشاء) حديث رقم (٤٦٥) (١/٣٤٠).

الاسم الثالث: سورة سبح: ذكرها بهذا الاسم من المفسرين الإمام البيضاوى[١] وابن كثير[٢]، والشوكاني[٣]، والألوسي[٤]، في تفاسيرهم، وعنون لها البقاعي في نظم الدرر[٥]، وفي مصاعد النظر[٦]، وهذا الاسم هو اجتهادي من السلف، ووجه التسمية بذلك : أنها اختصت بالافتتاح بكلمة سبح بصيغة الأمر.[٧]

ثانيًا- عدد الآيات والكلمات والحروف: آياتها تِسْعَ عشرةَ آيةً في جميع العَدَدِ، ليس فيها اختلاف، وكلمها اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ كلمة ككلم العلق[٨] وحروفها مائتان وإحدى وسبعون، وفواصل آياتها على الأَلف[٩].

ثالثًا- مكان نزول السورة:

سورة الأعلى من السور المكية عند جمهور المفسرين[١٠]، ونسب

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى (٣٠٥/٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣٧٠/٨).

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥١٣).

(٤) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٣١٣).

(٥) ينظر: نظم الدرر(٣٨٧/٢١).

(٦) ينظر: مصاعد النظر(٣/ ١٨٠).

(٧) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٧١).

(٨) ينظر: البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٧١)

(٩) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٥١٤)

(١٠) ينظر: الكشاف (٤/ ٧٣٧)، تفسير المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٨) وقال: "في قول الجمهور"، زاد المسير (٤/ ٤٣١) وقال: "بإجماعهم"، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣) وقال: "في قول الجمهور".

القول بمدنيتها إلى الضحاك[١]، والراجح هو قول الجمهور لما يلى:

١ – ما ثبت عن البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلاَلٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ " قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، حَتَّى جَعَلَ الإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى فِي سُوَرٍ مِنَ المُفَصَّلِ" [٢]

قال ابن حجر – رحمه الله تعالى –: "ومقتضاه أن ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ مكية"[٣].

٢ – أنها معدودة ضمن القسم المكي في الروايات التي عددت المكي والمدني[٤].

رابعا- فضل السورة الكريمة:

مما ورد فى فضل هذه السورة الكريمة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقرأ بها في العيدين والجمعة: فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ

---

(١) قال ابنُ عطيَّة: (وذلك ضَعيفٌ، وإنَّما دعا إليه قَولُ مَن قال: إنَّ ذِكرَ صَلاةِ العيدِ فيها) (تفسير المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٨) ، الكشاف (٤/ ٧٣٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينةح ٣٩٢٥ (٥/ ٦٦)

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٦٢)

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٤٠)

اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»، قَالَ: «وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم " أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ(٢). "

مما سبق يتضح منزلة تلك السورة فقد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يصلي بها في الوتر، والعيدين، والجمعة، وإذا اجتمع العيد والجمعة صلى فيهما بها.

خامسا: مقصد السورة وموضوعاتها:

سورة الأعلى تُجسد جمال الإعجاز القرآني في تناسق مقاصدها ودقة موضوعاتها، حيث تنقل القارئ في رحلة من التنزيه لله الأعلى، إلى بيان عظمة الخلق، مع توجيه الأنفس إلى الطاعات، وتحذير الكفار من مغبة إهمالهم للحق، كما أشار إلى ذلك الفيروزآبادي فقال: مقصود السورة: بيان علو الذات، والصفات، وذكر الخلقة، والإشادة بالثمار والنبات، والأمن من نسخ الآيات، وبيان سهولة الطاعات، وذل الكفار في قعر التركات،

(١) صحيح مسلم في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٢/ ٥٩٨ رقم ٨٧٨.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكيين عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي (٧٢/٢٤) (١٥٣٥٤) قال: شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين.

والتحضيض على الصلاة والزكاة، وفي الدنيا بقاء الخيرات، وفي الآخرة بقاء الدرجات [١] .

وقال الإمام البقاعي : "مقصوداتها إيجاب التنزيه للأعلى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أن يلحق ساحة عظمته شيء من شوائب النقص، كاستعجال في أمر من إهلاك الكافرين أو غيره، أو العجز عن البعث أو إهمال الخلق سدى؛ يبغي بعضهم على بعض بغير حساب، أو أن يتكلم بما لا يطابق الواقع أو بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله " [٢].

أما عن موضوعات السورة فإن سورة الأعلى تتناول مجموعة من الموضوعات المتناسقة التي تتكامل لتعكس قدرة الله وعظمته في خلق الكون وهداية الناس وتذكيرهم بالآخرة، فاشتملت على ما يلى:

١ – تنزيه الله تعالى، والإشارة إلى وحدانيته لانفراده بخلق الإنسان، وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه.

٢– تأييد النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته على تلقي الوحي.

٣–أن الله معطيه شريعة سمحة، وكتاباً يتذكر به أهل النفوس الزكية الذين يخشون ربهم، ويعرض عنه أهل الشقاوة الذين يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبؤون بالحياة الأبدية.

٤–أن ما أوحي إليه يصدقه ما في كتب الرسل من قبله، وذلك كله تهوين لما يلقاه من إعراض المشركين[٣] .

---

(١) بصائر ذوي التمييز (١/ ٥١٤) بتصرف.

(٢) نظم الدرر (٢١/ ٣٨٧).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٧٢)، بصائر ذوي التمييز (١/ ٥١٤)

سادسا- وجوه مناسباتها:

معلوم أن علم المناسبات يُعد من العلوم الدقيقة التي تتطلب التأمل العميق وتكرار النظر، لما تحتويه من لطائف وروابط خفية ولذلك قال الإمام الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط [١] ومن ثم فسورة الأعلى لها اتصال بسورة (الطارق) قبلها من عدة وجوه:

-الوجه الأول: لما ذكرت سورة الطارق خلق النبات والإنسان في قوله: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ } [الطارق: ١٢] وقوله : {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} [الطارق: ٥ - ٨].

وذكره في هذه السورة في قوله: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى: ٢] وقوله في النبات: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} [الأعلى: ٤، ٥] وقصة النبات في هذه السورة أبسط، كما أن قصة الإنسان هناك أبسط نعم ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات[٢] .

-الوجه الثانى - قال عَزَّوَجَلَ : { إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} [الطارق: ١٣] ، مقابل لقوله عزوجل : {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى: ٦].

الوجه الثالث -لما تكلم في سورة الطارق عن خلق الإنسان والإعجاز فيه ناسب أن يأمره بالعبادة والصلاة في سورة الأعلى[٣] .

الوجه الرابع - لما قال سبحان مخبرا عن عَمَه الكفار في ظلام حيرتهم أنهم يكيدون كيدا، وكان وقوع ذلك من العبيد المحاط بأعمالهم ودقائق

---

(١)ينظر: التفسير الكبير (١٠/ ١١٠).

(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن (ص: ١٥٧).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٣١٣)، أسرار ترتيب القرآن (ص: ١٥٧).

أنفساهم وأحوالهم من أقبح مرتكب وأبعده عن المعرفة بشيء من عظيم أمر الخالق جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم وإفك افترائهم فقال: {سبح اسم ربك الأعلى} [الأعلى: ١][(١)].

فالتناسق بين سورتي الطارق والأعلى يُظهر ارتباطًا محكمًا في الموضوعات، حيث يتناول كلاهما خلق الإنسان والنبات، مع تفصيل جوانب في كل سورة تُكمل الأخرى. في الطارق أُبرز الإعجاز في خلق الإنسان، وفي الأعلى ذُكر الخلق والتسوية للنبات والإنسان مع شمولية أوسع. كما أن الحديث عن الكيد في الطارق تبعه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيه الله في الأعلى، مما يُظهر التدرج القرآني في ترسيخ المعاني وتعميق الفهم.

مناسبة سورة الأعلى لما بعدها (سورة الغاشية).

لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله: { سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى *وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى} [الأعلى: ١٠، ١٢] إلى قوله: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الأعلى: ١٧] إلى المؤمن والكافر، والنار والجنة إجمالاً ، فصل ذلك في سورة الغاشية فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهل كل منهما، على نمط ما هنالك، ولذا قال فى الغاشية : {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} [الغاشية: ٣] فِي مقابل الأشقى هنا ، وقال فى الغاشية {تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً } [الغاشية: ٤] إلى قوله: {لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ } [الغاشية: ٧] فِي مقابلة : {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى } [الأعلى: ١٢] هنا.

(١) ينظر: البرهان فى تناسب سور القرآن (ص: ٣٦١).

ولما قال هنا في الآخرة : {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: ١٧] بسط فى الغاشية صفة الجنة أكثر من صفة النار ، تحقيقاً لمعنى الخيرية [١] .

فهذا التناسق يُبرز ارتباطًا بديعًا بين السورتين، ويُظهر التناسق المتكامل بين الإجمال في الأعلى والتفصيل في الغاشية لأن مقصود سورة الغاشية شرح ما في سورة الأعلى من تنزيه الله عن العبث ، بإثبات الدار الآخرة وذكر ما فيها للأنقى والأشقى والدلالة على القدرة عليها [٢]

مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها:

افتتحت سورة الأعلى بالأمر بتسبيح الله تعالى {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } [الأعلى: ١] مما يدعو إلى تمجيد الله وتنزيهه عن كل نقص، وذِكر عظمته وكمال أفعاله، وخُتمت السورة بتأكيد التذكير النافع للنفوس المؤمنة {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى } [الأعلى: ٩، ١٠] وربط ذلك بمصير الإنسان الأخروي {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: ١٧].

هذا التناسق يُبرز أن التسبيح والتذكير مترابطان، حيث يبدأ التسبيح بتعظيم الله وينتهي بالتذكير بعاقبة الإنسان، مما يعكس وحدة موضوعية تؤكد أن معرفة الله وتنزيهه هي أساس الهداية التي تنفع في الدنيا والآخرة.

---

(١) أسرار ترتيب القرآن (ص: ١٥٧).

(٢) مصاعد النظر للبقاعي (٣/١٨٦- ١٨٧).

المبحث الأول
التعريف بالتناسق الموضوعي وثمرة دراسته

المطلب الأول
تعريف التناسق الموضوعي

مصطلح "التناسق الموضوعي" هو تركيب وصفي يتألف من كلمتين: "التناسق" و"الموضوعي"، ومن منهجية أهل العلم أن يُبدأ بتعريف كل كلمة منهما على حدة، ثم يُقدَّم تعريف المصطلح في صورته الكاملة باعتباره تركيبًا.

التعريف بمصطلح التناسق :

التناسق لغة: قال الرازي في المختار: ثغر (نسق) بفتحتين إذا كانت أسنانه مستوية، وخرز نسق منظم، و (النسق) أَيْضًا ما جاء من الكلام على نظام واحد، و (النسق بالتسكين مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض وبابه نصر، و(التنسيق) التنظيم(١).

وفي اللسان: النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد، عالم في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا ويخفف. قال ابن سيدة نسق الشيء بلشقة تشقاء والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئًا بعدة جرى مجرى واحدا، والتنسيق التنظيم والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد، والعرب تقول الطوار الحبل إذا امتد مستويا: حد على هذا النسق أي على هذا الطوار، والكلام إذا كان مسجعا، قيل: له

(١) ينظر: مختار الصحاح (ص: ٣٠٩).

نسق حسن[1]. واستعمال النسق والتنسيق عام في الأشياء المادية والمعنوية، فاستعماله في الماديات حقيقي وفي المعنويات مجازي.

قال الزمخشري: نسق الدر وغيره ونسقه، ودر منسوق ومنسق، ونسق، وتنسقت هذه الأشياء، وتناسقت ومن المجاز كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسق ونظام وثغر نسق. وقام القوم نسقاً) [2].

اصطلاحا: التناسق في اصطلاح العلماء لم يخرج عن معناه اللغوي، وقد قيل في المراد بحسن النسق أن يأتي المتكلم بكلمات متتالية معطوفات متلاحمات تلاحما سليما، بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها، واستقل معناها بلفظها[3].

بعد التأمل في المعاني اللغوية لمادة " نسق" وما يرتبط بها كالتناسق والتنسيق، يتضح أنها تدور حول الانتظام، والعطف، وحسن التركيب، والانسجام.

التعريف بمصطلح (الموضوعى) :

الموضوعي لغة: وضَعَ وَضْعاً، وموضعا، ومَوْضُوعاً، وهو ضِدُّ الرَّفْعِ، وقد ذكرتهما سورة الشرح في سياق الإنعام والامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال الله تعالى:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)} [الشرح: ١، ٤]

ويستخدم الوضع –أيضًا– بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، وهو الأصل في استعمال الكلمة في الأمور المادية، فيقال: وضعت الشيء على الأرض ،

(١) ينظر: لسان العرب –فصل النون– مادة نسق (١٠/٣٥٢– ٣٥٣)
(٢) ينظر: أساس البلاغة مادة (ن س ق) (٢/ ٢٦٦)
(٣) ينظر: الكليات (ص ٤١٠).

أي: أثبته في مكانه، ومنه قولهم: وضعت الإبل وضيعة، أي: رعت حول الماء ولم تبرح، ويقال: وضعتها أي ألزمتها المرعى فهي موضوعة [١].

وبذلك، فإن الموضوع هو الشيء الذي يحمل صفة معينة، وألزم مكانا معينا لا يبرحه إلى غيره ، وهنا يُراد به موضوع الكلام نفسه.

اصطلاحا: هو المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه، ويدل عليه فحوى الكلام[٢].

وعند المفسرين: القضية الرئيسية التي تضمنتها آية أو آيات أو سورة أو سور من القرآن الكريم[٣]، ومن ثم فيمكن القول بأن المراد بالتناسق الموضوعي في السورة القرآنية: إبراز بنيتها المتكاملة، حيث يظهر في ترتيب آياتها، ترابط موضوعاتها، وانسجام معانيها بشكل متناسق.

(١) ينظر: المفردات للراغب الأصفهاني مادة (وض ع).(٨٧٤)، لسان العرب مادة (وضع) (٨/ ٣٩٦- ٣٩٧)

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٠).

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ص (٢٥).

المطلب الثانى

ثمرة دراسة التناسق الموضوعي في السورة

١- التناسق الموضوعي في السورة، يُعد من أبرز دلائل الإعجاز القرآني، حيث إنه يعكس جمال النظم البديع، وترتيبه المتقن، ومعانيه العظيمة، مما يُثبت أن القرآن الكريم معجز بنظمه وفصاحته وبلاغته، كما قال ابن عطية: "التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه [(١)] وقد أكد البقاعي أن إعجاز القرآن يتضح من خواص تركيبه، مما يدل على أنه تنزيل المحيط بكل شيئاً علماً[(٢)] .

٢-دراسة التناسق الموضوعي تُثمر اليقين بجمال نظم الآيات ودقتها، وإحكامها وإتساقها ؛ وقد أشار الزمخشري رحمه الله إلى أهمية الحفاظ على هذا النظم الفريد، فقال: "من حق مفسر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليماً من القادح، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل[(٣)] .

٣- التناسق يكشف عن موضوعات السورة ومنهجها، ودراسته تفتح آفاق الفهم للموضوع الرئيس أو الموضوعات الأساسية التي تتناولها السورة، مما يبرز المنهج القرآني المحكم في معالجة هذه القضايا. ويُعين على استظهار الهدايات القرآنية التي تنير واقعنا المعاصر.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١/ ١٨٤).

(٣) ينظر: الكشاف (١/ ٦٨).

٤-دراسة التناسق الموضوعي تبرز الحكمة في نظم الآيات واتساقها؛ "فقد تَنْزِلُ الْآيَاتُ عَلَى الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ وَتُوضَعُ مَعَ مَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الْآيِ الْعَامَّةِ رِعَايَةً لِنَظْمِ الْقُرْآنِ وَحُسْنِ السِّيَاقِ [١].

كما تظهر لطائف تربط بين المعاني والألفاظ، كما قال الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط[٢] وهذا التناسق يوجه إلى هدايات تعين المرء على إصلاح نفسه ومجتمعه.

٥- تتبع التناسق في النظم يمنح الباحث بصيرة في استبعاد التأويلات الباطلة واختيار الحق الواضح، ويؤدي إلى سعة المعاني وجمالها، كما أشار البقاعي إلى أن ترتيب المعاني في القرآن "جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر[٣] .

٦-دراسة التناسق الموضوعي مما يُعين على معرفة مقصد السورة. وأهدافها من خلال ربط موضوعاتها باسمها ومقاطعها المختلفة لتظهر بصورة متكاملة وقد أكد العلماء، كالإمام الزركشي، على أهمية النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، حيث قال:"ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به [٤] وتنوع الموضوعات داخل السورة الواحدة يجعل تقسيمها إلى مقاطع واستخلاص موضوع كل مقطع على حدة، ثم دراسة التناسب بينها، منهجًا فعالًا للوصول إلى مقصد السورة وفهم الرسالة الكامنة في بنيتها المتكاملة.

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٣)

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١٠/١١٠).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٢٢/ ٥١)

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٠)

المبحث الثاني
التناسق الموضوعي بين آيات سورة الأعلى

ويمكن تقسيم سورة الأعلى بشكل يتناسب مع فكرة التناسق الموضوعي وبناءً على الموضوعات التي تدور حولها السورة إلى ثلاثة مطالب رئيسية:

أولها : (التناسق في التنزيه والخلق والتقدير والهداية) وذلك من الآية الأولى إلى نهاية الآية الخامسة حيث تناول التسبيح والتنزيه لله الأعلى، وعظمة خلقه وإبداعه في النبات والإنسان.

ثانيها : (التناسق في التثبيت والوحي والإعداد للرسالة) وذلك من الآية السادسة إلى نهاية الآية الثامنة حيث الحديث عن تيسير الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في حفظ الوحي ونقله، وتأكيد سهولة التشريع.

ثالثها: (التناسق في الدعوة والإستجابة وعلامات الشقاوة والسعادة) وذلك من الآية التاسعة إلى ختام السورة حيث بيان أثر الذكرى، ومصير من ينتفع بها ومن يعرض عنها، مع الإشارة إلى ما ورد في صحف إبراهيم وموسى.

ثم بيان التناسق بين مقاطع السورة الثلاثة، من حيث ترابط معانيها، وتسلسل موضوعاتها، وانسجامها في بناء الهيكل العام للسورة، بحيث يؤدي كل مقطع دوره في تأكيد الرسالة الكلية التي تحملها السورة.

المطلب الأول

التناسق في التنزيه والخلق والتقدير والهداية

وذلك من الآية الأولى إلى نهاية الآية الخامسة

قال تعالى : {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى } [الأعلى: ١ – ٥]

أولا: المعنى الإجمالى للآيات:

يتضح المعنى الإجمالي للآيات، ويظهر التناسق الموضوعي بينها بوضوح من خلال افتتاحها بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التسبيح والتنزيه لله تعالى قائلا له: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] أى نزه ربك الأعلى بقلبك ولسانك عن كل سوء ونقص، وهو الخالق المالك المدبر لكل شيء، المتصف بالعلو المطلق؛ واذكره بقولك: سبحان ربي الأعلى، ليؤكد على عظمة الخالق وعلوه المطلق في الذات والصفات وقد اختصت هذه السورة بصيغة الأمر للتسبيح، مما يعكس خصوصية هذا التنزيه ودلالته على الاطمئنان التام والتسليم المطلق بعظمة الله وقدرته.

ثم تتدرج الآيات في بيان مظاهر قدرة الله وصفاته العظيمة، حيث يقول تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى: ٢] أى: خلق كل شيء من العدم، فأتقنه وجعله في أحسن هيئة مناسبة له.

ويلي ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } [الأعلى: ٣] أى: والذي قدر مقادير الخلائق في ذواتها، وصفاتها، وأحوالها، بدقة وإتقان، فهدى كل مخلوق لما يصلحه ويعينه على أداء وظيفته في الحياة بما أودع فيه من غرائز وإلهامات، كما قال الله تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل:

٧٨] ، وقال سبحانه: { الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠]، وقال عز وجل: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢].

وتستمر الآيات في عرض دلائل قدرة الله في إخراج النبات الذي ترعاه الدواب،حالة كون هذا النبات أخضر رطبا، فقال: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى} [الأعلى: ٤] ثم التحول التدريجي للنبات من رطوبة وخضرة إلى يبس وجفاف، كما قال تعالى: فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى [الأعلى: ٤، ٥] أى: فجعله بعد الخضرة والنضرة غثاءً يابسًا هَشيمًا جافًّا، وجعل لونه قريبا من السواد وهذا التحول البديع للنبات بين مرحلتي الرطوبة والجفاف، هو دليل على تصرف الله المطلق في خلقه، وقدرته على إحياء الإنسان بعد موته، تمامًا كما يحيي الأرض بعد جفافها(١) .

ثانيا: بيان التناسق بين الآيات:

يتجلى التناسق الموضوعي في هذه الآيات الكريمة من سورة الأعلى في إبراز العلاقة الوثيقة بين تسبيح الله ودلائل قدرته، حيث تبدأ السورة بالأمر الإلهي الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بـ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] وهو تنبيهٌ على استِحقاقِ اللهِ تعالى التَّنزيهَ عن كلِّ نَقصٍ مما يبرز عظمته وكمال صفاته، ويأتي هذا التسبيح متسقًا مع عرض دلائل عظمة الله في الخلق والتسوية والتقدير والهداية، ليجتمع الإيمان بقدرة الله وحكمته.

ولَمَّا أمَرَ سُبحانَه بالتَّسبيحِ، فكأنَّ سائِلًا قال: الاشْتِغالُ بالتَّسبيحِ إنَّما

(١) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٣٦٧) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٥) تفسير النسفي (٣/ ٦٣٠) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٧٢) .

يَكونُ بَعْدَ المَعرِفةِ؛ فما الدَّليلُ على وُجودِ الرَّبِّ؟ فقال الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى[1] فذكَرَ سُبحانَه أربعةَ أُمورٍ عامَّةً: الخَلقُ والتَّسويةُ والتَّقديرُ والهدايةُ، وجعَل التَّسويةَ مِن تمامِ الخَلقِ، والهدايةَ مِن تمامِ التَّقديرِ، والتَّسويةُ شامِلةٌ لجميعِ مخلوقاتِه، وما يُوجَدُ مِن التَّفاوُتِ وعدمِ التَّسويةِ فهو راجعٌ إلى عدَمِ إعطاءِ التَّسويةِ للمَخلوقِ؛ فإنَّ التَّسويةَ أمرٌ وُجوديٌّ يتعلَّقُ بالتَّأثيرِ والإبداعِ، فما عُدِمَ منها فلِعَدَمِ إرادةِ الخالقِ للتَّسويةِ، وذلك أمرٌ عَدَميٌّ يكفي فيه عدمُ الإبداعِ والتَّأثيرِ؛ فتأمَّلْ ذلك فإنَّه يُزيلُ عنك الإشكالَ في قَولِه: { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ..الآية } [الملك: ٣] ، فالتَّفاوُتُ حاصلٌ بسَبَبِ عدمِ مشيئةِ التَّسويةِ، كما أنَّ الجَهلَ والصَّمَمَ والعَمَى والخَرَسَ والبَكَمَ يَكْفي فيها عدمُ مشيئةِ خَلْقِها وإيجادِها، والمقصودُ أنَّ كلَّ مخلوقٍ فقد سوَّاه خالقُه سُبحانَه في مَرتبةِ خَلْقِه، وإنْ فاتَتْه التَّسويةُ مِن وَجهٍ آخَرَ لَمْ يُخْلَقْ له[2] .

هذا التناسق بين الخلق والتقدير والهداية يُظهر الحكمة البالغة والإتقان الإلهي، كذلك فإن اختيار صفتي التسوية والهداية تحديدًا يعكس ملاءمتهما لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم يقول الطاهر ابن عاشور : في قَولِه تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } [الأعلى: ٢، ٣] أُوثِرَ وَصْفا التَّسويةِ والهِدايةِ مِن بَينِ صِفاتِ الأفعالِ الَّتي هي نِعَمٌ على النَّاسِ، ودالَّةٌ على استحقاقِ اللهِ تعالى للتَّنزيهِ؛ لأنَّ في هذين الوَصفَينِ مُناسَبةً بما اشتمَلَت عليه مِن السُّورةِ؛ فإنَّ الَّذي يُسَوِّي خَلْقَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم تسويةً تُلائِمُ ما خَلَقَه مِن أجْلِه مِن تحَمُّلِ أعباءِ الرِّسالةِ: لا يَفوتُه أن يُهَيِّئَه لحِفظِ ما يُوحيه إليه، وتيسيرِه عليه، وإعطائِه شَريعةً مُناسِبةً لذلك

(١) ينظر: التفسير الكبير (٣١/ ١٢٨).
(٢) ينظر: شفاء العليل لابن القيم (ص: ٦٦).

التَّيسيرِ؛ قال تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى، وقال: وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ، وتقديم التقدير على الهداية يشير إلى نظام محكم يربط الخلق بأدوارهم ومهامهم في الحياة(١)

ولَمَّا كانت دلائِلُ التَّوحيدِ تارةً بالنَّفْسِ وتارةً بالآفاقِ، ونَبَّه بآياتِ النَّفْسِ، فلم يَبْقَ إلَّا آياتُ الآفاقِ، وكان النَّباتُ مِن آياتِها أدَلَّ المخلوقاتِ على البَعثِ؛(٢) قال تعالى: " {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى} [الأعلى: ٤] فالآية تتحدث عن إنبات النبات الأخضر برحمة الله، ليكون مصدر نفع للإنسان والحيوان، وإيثارُ كَلمةِ الْمَرْعَى دُونَ لَفظِ النَّباتِ؛ لِما يُشعِرُ به مادَّةُ الرَّعْيِ مِن نفْعِ الأنعامِ به، ونفْعِها للنَّاسِ الَّذين يَتَّخِذونها،(٣) مما يبرز حكمة الله في خلقه، ويعمّق فهم القارئ لعظمة الخالق سبحانه.

ولَمَّا كان إيباسُه وتَسويدُه بَعْدَ اخضِرارِه ونُمُوِّه: في غايةِ الدَّلالةِ على تمامِ القُدرةِ وكَمالِ الاختيارِ، بمُعاقَبةِ الأضْدادِ على الذَّاتِ الواحِدةِ؛(٤) قال تعالى : {فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى } [الأعلى: ٥] أي: فجَعَلَ اللهُ ذلك المَرعى يابِسًا، وجعَلَ لَونَه قَريبًا مِنَ السَّوادِ بَعْدَ أن كان مُخضَرًّا ورَطْبًا (٥) .

فالآية تُبرز تحول النبات من خضرة يانعة إلى يبس داكن، في إشارة إلى قدرة الله المطلقة على تغيير أحوال المخلوقات، مما يُدلل على تحكمه المطلق في دورة الحياة والموت، وفي وصف إخراج الله تعالى للمرعى وجعله غثاءً

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٧٦-٢٧٧.

(٢) ينظر: نظم الدرر ٢١/٣٩٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٧٨.

(٤) ينظر: نظم الدرر ٢١/٣٩٣ .

(٥) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٣٦٩) ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧ .

أحوى، مع ما سبقه من الأوصاف، إشارة بديعة إلى تَمثيلِ حالِ القُرآنِ وهِدايتِه، وما اشتمَلَ عليه مِن الشَّريعةِ الَّتي تَنفَعُ الناسَ، بحالِ الغَيثِ الَّذي يَنبُتُ به المرْعى، فتَنتَفِعُ به الدَّوابُّ والأنعامُ، كما أن هذا التصوير يوحي بأن هذه الشَّريعةَ تَكمُلُ ويَبلُغُ ما أرادَ اللهُ فيها كما يَكمُلُ المرْعى ويَبلُغُ نُضْجَه حينَ يَصيرُ غُثاءً أحْوى (١)

هذا التناسق في عرض الآيات يربط بين الأمر بالتسبيح، ودلائل ألوهية الله في الخلق والتقدير، وانتهاءً بعرض شواهد القدرة في النبات، مما يُرسّخ الإيمان بقدرة الله على البعث، ويعكس عظمة الله في الخلق والتدبير، ويجعل الإنسان أكثر تدبرًا وإيمانًا.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٧٨.

المطلب الثانى

التناسق في التثبيت والوحي والإعداد للرسالة

وذلك من الآية السادسة إلى نهاية الآية الثامنة

قال تعالى : {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) } [الأعلى: ٦ -٨]

أولا: المعنى الإجمالى للآيات:

يُبيّن الله سبحانه وتعالى جانبًا من مظاهر فضله العظيم على نبيه صلى الله عليه وسلم، فيخاطبه بقوله :﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾، أي نعدك – بعظمتنا ووعدنا الحق – أن نجعلك قارئًا لهذا الذكر الحكيم، متقنًا لحفظه، عالمًا بأسراره، ناشرًا له بين الناس، رغم كونك أميًّا لا تقرأ ولا تكتب، ثم يطمئنه سبحانه بأن يثبّت القرآن في صدره، فلا ينساه مهما كَثُر نزول الوحي، ليكون ذلك بشارة عظيمة تُعزِّز اليقين في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وتمنحه الطمأنينة والثقة في تبليغ الرسالة.

هذا الوعد الإلهي يحمل في طياته معجزتين بارزتين: الأولى، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً ومع ذلك حُفظ له القرآن بتمامه دون نقصان، والثانية، إخباره عن أمور مستقبلية تتحقق كما أوحي إليه. ويؤكد الله سبحانه في هذه الآيات أنه لن يغفل عنه توفيق الالتزام بالأحكام الإلهية، فيجمع بذلك بين الحفظ القلبي والعمل الجسدي، مما يبرز التناسق بين فضل الله وبين الرسالة النبوية في أداء دورها بأكمل وجه، ولما كان سُبحانه وتعالى ينسخ من الشريعة ما يشاء بحسب المصالح تخفيفاً لما له بهذه الأمة من الرفق، قال { إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ..} [الأعلى: ٧] أن يُنسِيَكه مِن القُرآنِ وَفْقَ ما تَقتَضيه حِكْمتُه البالِغةُ.

ثم يُبرز عظمته بقوله" : {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} [الأعلى: ٧] تأكيدًا على علمه المحيط الذي يشمل كل شيء، ظاهرًا كان أو خفيًا، إنَّ اللهَ يَعلَمُ السِّرَّ والعَلانيَةَ، كما قال تعالى: {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } [طه: ٧]

ثم يأتى الوعد الكريم بنعمة التيسير بقوله :{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى } [الأعلى: ٨] أى: ونشرعُ لك شرعًا سهلًا سَمحًا مُستقيمًا عَدلًا، ونسهِّلُ عليك أفعالَ الخَيرِ وأقوالَه، ونوَفِّقُك للطَّريقةِ اليُسْرى في كلِّ أمرٍ مِن أُمورِ الدِّينِ والدُّنيا، وسنرزقك الأمور الحسنة التي تجعلك تعيش سعيدا في دنياك، وظافرا برضواننا في أخراك[١].

ثانيا: بيان التناسق بين الآيات:

تُبرز هذه الآيات الثلاث وحدة موضوعية متكاملة، حيث تبدأ بتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن وعدم نسيانه، ثم تؤكد شمولية العلم الإلهي وحكمته، وصولًا إلى التيسير في الرسالة والدعوة، هذا التناسق يُظهر تكامل الصفات الإلهية مع مهمة النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدين، مما يعمق الإيمان بعظمة الوحي وأثره في التيسير على الأمة.

فبعد أن أمر الله سبحانه بالتسبيح في قوله" : سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وكان التَّسبيحُ لا يَتِمُّ إلَّا بقراءةِ ما أُنزِلَ عليه مِنَ القُرآنِ، وكان يتذكَّرُ في نَفْسِه مَخافةَ أن يَنْسى؛ فأزال عنه ذلك، وبَشَّرَه بأنَّه تعالى يُقرِئُه، وأنَّه لا يَنسى، واستثنى ما شاء أن يُنسِيَه لمصلحةٍ كالنَّسخِ وغيرِه [٢]

---

(١) ينظر: جامع البيان ٣١٧/٢٤، تفسير ابن كثير ٣٨٠/٨، نظم الدرر ٢١/ ٣٩٤، التفسير الوسيط لفضيلة أ.د/محمد سيد طنطاوي ١٥/ ٣٦٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤٥٧/١٠.

قال الواحدي: قال المفَسِّرونَ: كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا نَزَل عليه القُرآنُ أكثَرَ تحريكَ لِسانِه؛ مَخافةَ أن يَنساه، وكان لا يَفرُغُ جِبريلُ مِن آخِرِ الوَحيِ حتَّى يتكَلَّمَ هو بأوَّلِه؛ مَخافةَ النِّسيانِ، فقال الله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى } [الأعلى: ٦] وهذا كقَولِه: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ...الآية} [طه: ١١٤] ، وكقَولِه: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ....الآية } [القيامة: ١٦] [(١)] يتجلى التناسق الموضوعي في هذه الآيات من خلال الجمع بين بشارتين عظيمتين: أولاهما: تتمثل في إلهامه الذاكرة الواعية الحافظة لما يوحى اليه. وثانيتهما: توفيقه صلى الله عليه وسلم إلى الشريعة اليسرى، وإلى الأخلاق الكريمة وإلى الأخذ بما هو أرفق وأيسر في كل أحواله[(٢)]

فقوله " : سبحانه {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى: ٦] يحمل بشارة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم ، حيث تكفل الله بحفظ القرآن من النسيان، ولذا قال القرطبي: (هذه بُشْرى مِن الله تعالى؛ بشَّرَه بأنْ أعطاه آيةً بَيِّنةً، وهي أن يَقرأَ عليه جِبريلُ ما يقرأُ عليه مِن الوَحيِ، وهو أُمِّيٌّ لا يَكتُبُ ولا يَقرَأُ، فيَحفَظُه ولا يَنساه). [(٣)]

فهذا مَوقعُ البَيانِ الصَّريحِ بوَعْدِه بأنَّه سيَعصِمُه مِن نِسيانِ ما يُقرِئُه، فيُبلِّغُه كما أُوحِيَ إليه، ويَحفَظُه مِن التَّفلُّتِ عليه، وابتُدِئَ بقولِه :سَنُقْرِئُكَ؛ تَمهيدًا للمَقصودِ الذي هو فَلَا تَنْسَى، وإدماجًا للإعلامِ بأنَّ القرآنَ في تَزايُدٍ مُستمِرٍّ، فإذا كان قد خاف مِن نِسيانِ بعضِ ما أُوحِيَ إليه على حِينِ قِلَّتِه،

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٧٠).
(٢) التفسير الوسيط لفضيلة أ.د/محمد سيد طنطاوي ١٥/ ٣٦٦.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٠.

فإنَّه سيَتتابَعُ ويَتكاثَرُ، فلا يَخشَى نِسيانَه؛ فقد تَكفَّلَ له عدَمَ نِسيانِه مع تَزايُدِه[1]

وقوله" : {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى} [الأعلى: ٨] يُبرز تناسقًا موضوعيًا مع الرسالة المحفوظة، حيث شريعة الإسلام مبنية على التيسير والسماحة، وتهيئة النبي صلى الله عليه وسلم لقبول الوحي والعمل به بأيسر السبل، كما أن هذا التيسير يشمل كل مناحي الدين والدنيا، وتَعليقُ التَّيسيرِ به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مع أنَّ الشَّائعَ تَعليقُه بالأُمورِ المُسَخَّرةِ للفاعلِ -كما في قولِه تعالَى : {وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي } [طه: ٢٦]؛ للإيذانِ بقوَّةِ تَمكينِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مِن اليُسْرى والتَّصرُّفِ فيها، بحيثُ صارَ ذلكَ مَلَكةً راسخةً له، كأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ جُبِلَ عليها، ومعْنى اللَّامِ في قولِه :لِلْيُسْرَى العِلَّةُ، أي: لأجْلِ اليُسرى، أي: لقَبولِها[2] .

فالآيات تربط بين تنزيه الله وتسبيحه، وحكمته في الخلق والتقدير، وبين تثبيت الوحي وإعداد النبي صلى الله عليه وسلم لحمل الرسالة، فكما أن الله خلق الكون وفق نظام دقيق محكم، وقدّر لكل شيء مكانه ووظيفته، فقد جعل الهداية جزءًا من هذا التقدير الإلهي، بحيث تنسجم حركة الكون مع سنن الهداية التي يرسلها عن طريق أنبيائه.

وهذا التناسق يتجلى أيضًا في تثبيت الوحي في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، حيث تكفل الله بحفظه وإقرائه، مما جعله مؤهلًا لحمل الرسالة بثقة ويقين، فالوحي ليس مجرد كلمات تُلقى، بل هو محفوظ بقدرة الله، وهو الوسيلة التي تُنقل بها الهداية إلى البشرية، متناسقًا مع السنن الإلهية في

(١) ينظر: الكشاف ٧٣٨/٤، البحر المحيط ٤٥٦/١٠، إرشاد العقل السليم (١٤٤/٩)،
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٤٥/٩)، التحرير والتنوير ٢٨٢/٣٠.

الخلق والتقدير، كما هيأ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم كل السبل لتبليغ الرسالة، تمامًا كما ييسر للكون سننه الثابتة التي يسير عليها.

وهكذا يظهر التكامل بين تنزيه الله عن النقص، وحكمته في الخلق والتقدير، وهدايته لعباده، وتثبيت الوحي وإعداد النبي صلى الله عليه وسلم لحمل الرسالة.

إنها سلسلة متكاملة من الإحاطة الإلهية الشاملة، تجعل الوحي جزءًا من الانسجام الكوني العام، فلا يكون الدين منفصلًا عن قوانين الخلق، بل هو امتداد للحكمة الإلهية المطلقة التي تُسيّر كل شيء في الكون بدقة وإتقان.

المطلب الثالث

التناسق في الدعوة والإستجابة وعلامات الشقاوة والسعادة

وذلك من الآية التاسعة إلى نهاية السورة

قال تعالى : فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } [الأعلى:٩- ١٩]

أولا: المعنى الإجمالى للآيات:

يأمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بدوام التذكير بدعوة الحق بدون إبطاء أو يأس فقال: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى: ٩] والأمر مستعمل هنا في طلب المداومة على دعوة الناس إلى قبول الحق الذي جاء به، فإن هذا التذكير إن لم ينفع الناس جميعا، فسينفع بعضهم، ويدل على هذا المعنى قوله- تعالى- بعد ذلك: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} [الأعلى: ١٠] أى: سينتفع بتذكيرك- أيها الرسول الكريم- من يخشى الله- تعالى- ويخاف عذابه، كما قال تعالى :{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ..الآية} [هود: ١٠٣]، وقال سُبحانَه :{وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} [غافر: ١٣] في حين يعرض الأشقياء عن الذكرى، {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} [الأعلى: ١١] أى: ويَبتَعِدُ الكافِرُ عن الذِّكرى، ولا ينتَفِعُ بها؛ {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى } [الأعلى: ١٢] أى: الَّذي يَدخُلُ نارَ الآخِرةِ العُظمى، ويُقاسي شِدَّةَ حَرِّها.

{ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [الأعلى: ١٣]أى : ثمَّ لا يَموتُ الكافِرُ في النَّارِ الكُبْرى؛ فيَستريحَ مِن عَذابِها، ولا يَحْيا حياةً نافِعةً وخالِصةً مِنَ الآلامِ كما قال الله تبارك وتعالى:{إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [طه: ٧٤] ، وقال تعالى :{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر: ٣٦]

ثم تبين الآيات أن الفلاح الحقيقي هو لمن تزكى بالإيمان والعمل الصالح، وذكر اسم ربه وأقام الصلاة، فهؤلاء هم الناجون المفلحون، كما في قوله تعالى:{ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } [الأعلى: ١٤] أى: قد نَجَح وفازَ مَن تطَهَّرَ مِن الكُفرِ والمعاصي وسَيِّئِ الأخلاقِ، فآمَنَ وعَمِلَ الأعمالَ الصَّالحةَ الَّتي منها {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٥] أي: وذَكَر اللهَ سُبحانَه وتعالى بقلبِه ولسانِه؛ فأورَثَ له ذلك إقبالًا على الصَّلاةِ للهِ تعالى.

أما من آثر الحياة الدنيا الزائلة على الآخرة الباقية، فقد خسر الخير الأبدي، كما في قوله تعالى:{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [الأعلى: ١٦] فأخبَرَ الله تعالى عنهم أنَّهم يُؤْثِرونَ الحياةَ الدُّنيا؛ فلا يقومونَ بالذِّكرِ وأداءِ الصَّلاةِ؛ لأنَّهم يُقدِّمونَ مَتاعَ الحياةِ الدُّنيا على ثوابِ الآخِرةِ، فينشغِلونَ بأُمورِ دُنياهم عن أمورِ دِينِهم.

{ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: ١٧] أي: وثوابُ اللهِ في الآخِرةِ أفضَلُ وأدوَمُ لكم مِن مَتاعِ الدُّنيا ولَذَّاتِها القليلةِ الفانيةِ؛ فنَعيمُ الجنَّةِ كامِلٌ لا نَقْصَ فيه، وأبَدِيٌّ لا يَنتهي كما قال تعالى : {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [القصص: ٦٠] .

ثمَّ يختمُ اللهُ تعالى السُّورةَ الكريمةَ فيقولُ: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى } [الأعلى: ١٨] أي: إنَّ ما أخبَرَ اللهُ تعالى به من فلاح من تزكى ، ومن إيثاركم الحياة الدنيا على الآخرة ، لكائن وثابت ومذكور فى الصحف الأولى التى هى {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } [الأعلى: ١٩] التى أنزلها – سبحانه – على هذين النبيين الكريمين ، ليعلما الناس ما اشتملت عليه من آداب وأحكام ومواعظ.(١).

ثانيا: بيان التناسق بين الآيات:

يتألق التناسق الموضوعي في هذا النص القرآني، من خلال التتابع البديع والترابط المحكم لهذه الآيات، حيث تتدرج بأسلوب بديع في عرض الأفكار والغايات، فيبدأ الخطاب الإلهي بتوجيـــه النبي صلى الله عليه وسلم نحو التذكير الدائم بالقرآن الكريم، تأكيدًا على أهمية الذكرى كرسالة محورية للهدى، ثم تُبرز الآيات أثر الذكرى على الــنفوس، فتفرق بين من يخشى الله فينتفع بالذكرى ويهتدي، ومن يعرض عنها عنادًا وكِبرًا، وهـــم الأشقياء، فتظهر بوضوح أصناف الناس في استجابتهم للذكرى ومآلاتهم، هذا الربط الدقيق بين الدعوة، والاستجابة، ونتائجها الأخروية يُظهر التكامل الموضوعي لها، وعمق التناسق بين آياتها

ولذا يقول الطاهر بن عاشور: بعْدَ أنْ ثَبَّتَ اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم وتكَفَّلَ له ما أزال فَرَقَه مِن أعباءِ الرِّسالةِ، وما اطمَأَنَّت به نفْسُه مِن

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٣٨٠/٨، تفسير ابن جرير ٣١٧/٢٤، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٠، نظم الدرر للبقاعي ٤٠٢/٢١، التفسير الوسيط لفضيلة أ.د/محمد سيد طنطاوي ٣٦٦ /١٥

دفْعِ ما خافَه مِن ضَعفٍ عن أدائِه الرِّسالةَ على وَجْهِها، وتَكفَّلَ له دفْعَ نِسيانِ ما يُوحَى إليه، إلَّا ما كان إنساؤُه مُرادًا للهِ تعالَى، ووعَدَه بأنَّه وفَّقه وهَيَّأه لذلك، ويسَّرَه عليه؛ أعقَبَ ذلك بأنْ أمَرَه بالتَّذكيرِ، أي: التَّبليغِ، أي: بالاستِمرارِ عليه؛ إرهافًا لعَزْمِه، وشَحْذًا لنَشاطِه؛ ليكونَ إقبالُه على التَّذكيرِ معَ حرصٍ ومحبَّةٍ؛ فإنَّ امتِثالَ الأمرِ إذا عاضَدَه إقبالُ النَّفْسِ على فِعلِ المأمورِ به، كان فيه مَسرَّةٌ للْمأمورِ، فجمَعَ بيْن أداءِ الواجبِ وإرضاءِ الخاطِرِ؛ فالفاءُ للتَّفريعِ على ما تَقدَّمَ تَفريعَ النَّتيجةِ على المقدِّماتِ(١)

كما يقول الإمام البقاعي: ولما أمره بالتذكير لكل أحد، قسم الناس إلى صنفين: قِسمٌ يَقبَلُ العلاجَ، وقِسمٌ لا يَقبَلُه؛ إعلامًا بأنَّه سُبحانَه وتعالى عالِمٌ بكُلٍّ مِنَ القِسمَينِ جملةً وأفرادًا على التَّعيينِ، ولم يَزَلْ عالِمًا بذلك، ولكِنَّه لم يُعَيِّنْ؛ ابتِلاءً منه لعبادِه؛ لتقومَ له الحُجَّةُ عليهم بما يتعارَفونَه بيْنَهم، وله الحُجَّةُ البالغةُ(٢)

ثم تنتقل الآيات لتظهر تناسقًا موضوعيًا متقنًا ، حيث تُبين التفاعل المختلف بين أصناف الناس تجاه الذكرى، فبدأت بوصف من ينتفع بالذكرى، فقال تعالى: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} [الأعلى: ١٠].

يقول ابنُ عطيَّة :أخبَرَ تعالى أنَّه سيَذَّكَّرُ مَن يَخشى اللهَ والدَّارَ الآخرةَ، وهم العُلَماءُ والمؤمِنونَ؛ كلٌّ بقَدْرِ ما وُفِّقَ) (٣)، ويضيف البِقاعي قائلا: مَنْ

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٨٣، ٢٨٤

(٢) ينظر: نظم الدرر ٢١/٣٩٨، ٣٩٩

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٥/٤٧٠

يَخْشَى أي: في جِبِلَّتِه نَوعَ خَشيةٍ، وهو السَّعيدُ لِما قُدِّرَ له في نَفْسِه مِن السَّعادةِ العُظمى لقَبولِ الحَنيفيَّةِ السَّمْحةِ، فيَذَّكَّرُ ما يَعلَمُ منها في نَفْسِه فيَتَّعِظُ؛ فإنَّ الخَشيةَ حامِلةٌ على كُلِّ خَيرٍ) (١)

ثم انتقلت الآيات إلى وصف من يرفض الذكرى ولا ينتفع بها، فقال تعالى: {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} [الأعلى: ١١] وهذا الانتقال يُبرز تناسقًا بديعًا، حيث يقابل ذكر المؤمنين الذين يخشون الله، بذكر الأشقى الذي يتجنب الذكرى، ومُقابَلةُ مَنْ يَخْشَى بـ الْأَشْقَى تُؤذِنُ بأنَّ الأشْقى مِن شَأنِه ألَّا يَخْشى، فهو سادِرٌ في غُرورِه، مُنغَمِسٌ في لَهْوِه، فلا يَتطلَّبُ لنفْسِه تَخلُّصًا مِن شَقائِه، وذِكر مَنْ يَخْشَى وذِكر الْأَشْقَى، يُثيرُ استِشْرافَ السَّامعِ لمَعرفةِ أثَرِ ذلك، فابتُدِئَ بوَصْفِ أثَرِ الشَّقاوةِ، فوُصِفَ الْأَشْقَى بأنَّه يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ، وأُخِّرَ ذِكرُ ثَوابِ الأتْقى؛ تَقديمًا للأهمِّ في الغرَضِ –وهو بَيانُ جَزاءِ الأشقى الَّذي يَتجنَّبُ الذِّكرى– وبقِيَ السَّامعُ يَنتظِرُ أنْ يَعلَمَ جَزاءَ مَن يَخْشى ويَتذكَّرُ، فلمَّا وُفِّيَ حقُّ المَوعظةِ والتَّرهيبةِ استُؤنِفَ الكلامُ لبَيانِ المَثوبةِ والتَّرغيبِ..ثم يأتى التناسق في بيان مصير الأشقى الذي يتجنب الذكرى ووُصِفه بأنَّه {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى } [الأعلى: ١٢]؛ لأنَّ إطلاقَ الْأَشْقَى في هذه الآيةِ في صَدْرِ مُدَّةِ البَعثةِ المُحمديَّةِ، فكان فيه مِن الإبهامِ ما يَحتاجُ إلى البَيانِ، فأُتبِعَ بوَصْفٍ يُبيِّنُه في الجُملةِ ما نزَلَ مِن القُرآنِ مِن قبْلِ هذه الآيةِ(٢)

ثم بيَّن عاقبة هذا الأشقى، ومآل أمره فقال: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ} هذا الأشقى {فِيهَا}؛ أي: في النار الكبرى، فيستريح مما هو فيه من العذاب {وَلَا يَحْيَى}

(١) ينظر: نظم الدرر ٢١/٣٩٩

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٨٦– ٢٨٧

حياة طيبة تنفعه كما يقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد: لا هو حي ولا هو ميت[١] وأتى بـ {ثُمَّ} المفيدة للتراخي، إيذانًا بتفاوت مراتب الشدة؛ لأن التردد بين الحياة والموت أشد وأفظع من الصلي بالنار[٢].

ثم تنتقل الآيات بعد بيان مصير الأشقى إلى إبراز مفهوم الفلاح ومقوماته الأساسية، مُظهرةً التفاوت الواضح بين المفلحين الذين طهروا أنفسهم بذكر الله والصلاة وابتغاء مرضاته، وبين الأشقياء الذين انغمسوا في متاع الدنيا الزائل، فآثروا حياتها الفانية على نعيم الآخرة الباقي، مما أدى إلى حرمانهم من الفلاح الأبدي في الآخرة، فتُوضح الآيات طريق النجاة والفلاح الحقيقي، مؤكدةً أنه لا يتحقق إلا بالتزكية والإيمان، كما جاء في قوله تعالى::{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } [الأعلى: ١٤] والتزكية هنا تعني بذل الجهد في تطهير النفس وتزكيتها، وقُدِّم التَّزكِّي على ذِكرِ اللهِ والصَّلاةِ؛ لأنَّه أصلُ العمَلِ بذلك كلِّه؛ فإنَّه إذا تَطهَّرتِ النَّفْسُ أشرَقَتْ فيها أنوارُ الهِدايةِ فعَلِمَت مَنافعَها، وأكثَرَت مِن الإقبالِ عليها، فالتَّزكيةُ: الارتياضُ على قَبولِ الخَيرِ، والمرادُ: تَزكَّى بالإيمانِ ، وتَفريعُ فَصَلَّى على (ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ)؛ لأنَّ الذِّكرَ بمَعنيَيْه –اللِّسانيِّ والتَّذكُّرِ– يَبعَثُ الذَّاكرَ على تَعظيمِ اللهِ تعالَى، والتَّقرُّبِ إليه بالصَّلاةِ الَّتي هي خُضوعٌ وثَناءٌ، وفيه تَرتيبٌ حسَنٌ، حيثُ رُتِّبَتْ هذه الخِصالُ الثَّلاثُ في الآيةِ على تَرتيبِ تَوَلُّدِها؛ فأصْلُها: إزالةُ الخَباثةِ النَّفسيَّةِ مِن عَقائدَ باطلةٍ وحَديثِ النَّفْسِ بالمُضمَراتِ الفاسِدةِ، وهو المُشارُ إليه بقَولِه :تَزَكَّى، ثمَّ استِحضارُ مَعرفةِ اللهِ بصِفاتِ كَمالِه وحِكمتِه ليَخافَه ويَرجوَه، وهو المشارُ بقولِه :وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ، ثمَّ الإقبالُ على طاعتِه وعِبادتِه، وهو المشارُ إليه

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان (٣١/ ٣٥٨).
(٢) ينظر: البحر المحيط (١٠/ ٤٥٨).

بقولِه :فَصَلَّى، والصَّلاةُ تُشيرُ إلى العِبادةِ، وهي في ذاتِها طاعةٌ وامتِثالٌ يَأتي بعْدَه ما يُشرَعُ مِن الأعمالِ؛ قال تعالَى : {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ..الآية} [العنكبوت: ٤٥] (١)

وبعد بيان مصير الأشقى، والفلاح الذي ينتظر من تزكى، تنتقل الآيات لتوبيخ أولئك الذين يفضلون الدنيا على الآخرة، فقال تعالى :{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [الأعلى: ١٦] أى تختارون أيها الكفرة، وأيها الناس مؤمنكم وكافركم {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} القريبة الزوال على الآخرة الباقية، وهذا إضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق، أي: لا تفعلون ذلك، بل تؤثرون اللذات الفانية في الدنيا(٢)

ثم يقول تعالى :{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: ١٧] فيبين أنَّ الآخِرةَ خَيرٌ في نَفْسِها؛ لِما أنَّ نَعيمَها مع كَونِه في غايةِ ما يكونُ مِنَ اللَّذَّةِ خالِصٌ عن شائِبةِ الغائِلةِ، أبَدِيٌّ لا انْصِرامَ له، ولا يَتعرَّضِ لبَيانِ تَكدُّرِ نَعيمِ الدُّنيا بالمُنغِّصاتِ وانقِطاعِه عمَّا قَليلٍ؛ لِغايةِ ظُهورِه.

ثم تختتم السورة بالإشارة إلى أن هذه التعاليم موجودة في صحف الأنبياء السابقين، مما يؤكد وحدة الرسالات السماوية في الدعوة إلى تزكية النفس والتذكير بأهمية الآخرة. قال تعالى :{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } [الأعلى: ١٨، ١٩] على أُسلوبِ الإجمالِ والتَّفصيلِ؛ ليَكونَ لهذا الخبَرِ مَزيدُ تَقريرٍ في أذهانِ النَّاسِ(٣)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٨٨

(٢) ينظر: حدائق الروح والريحان (٣١/ ٣٦٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٩١

ثم إن ذكر أعظم الأنبياء الأقدمين إبراهيم وموسى في هذا السياق -تعظيمًا لقَدْرِ هذه الموعِظةِ[1] وفي إبهامِها ووصْفِها بالقِدَمِ، ثمَّ بَيانِها وتَفسيرِها مِن تَفخيمِ شَأنِها؛ ما لا يَخْفى[2] ومن ثم يتضح التناسق الموضوعي في سورة الأعلى من خلال دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى التذكير، وبيان استجابة الناس بمختلف أصنافهم، ثم عرض الجزاء الأخروي وفقًا لهذه الاستجابات، وربط ذلك بالفلاح الحقيقي وأسبابه، مع التحذير من الافتتان بالدنيا على حساب الآخرة، وأخيرًا التأكيد على أن هذه التعاليم امتداد للرسالات السماوية السابقة، وهكذا يكتمل مشهد الترغيب والترهيب، مع إبراز الاتصال الوثيق بين الرسالة الخاتمة والرسالات السابقة.

إن سورة الأعلى تمثل نموذجًا فريدًا في التناسق الموضوعي، حيث تجمع بين التنزيه، والتقدير، والتثبيت، والهداية، والإعداد للرسالة، والاستجابة، وعلامات الشقاوة والسعادة، في نسق قرآني متكامل يعكس الحكمة الإلهية في ترتيب المعاني وترابطها لخدمة المقصد العام للسورة الكريمة، ومن ثم يأتي التناسق بين الموضوعات الثلاثة:

الأول: التنزيه، والخلق، والتقدير، والهداية.

حيث يبدأ النص القرآني بالتنزيه والتسبيح، مما يمهد للتأمل في عظمة الله في الخلق، وإتقانه لكل شيء، ثم ينتقل إلى التقدير الإلهي وهداية المخلوقات، مما يعزز الإيمان بحكمة الله في تسيير الكون وهداية البشر نحو الحق.

الثاني: تثبيت الوحي والإعداد للرسالة.

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٢١/٤٠٧

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٩/ ١٤٧).

بعد الحديث عن الهداية الإلهية الشاملة، يأتي تثبيت الوحي في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يؤكد الله – عز وجل- حفظ القرآن في صدر نبيه صلى الله عليه وسلم، وعدم نسيانه ، ثم تأتي بشارة التيسير التي توضح أن الله قد قدّر لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون حاملًا للوحي، ميسرًا لأداء رسالته، تمامًا كما قدّر للإنسان طريق الهداية في الموضوع الأول.

الثالث: الدعوة، والاستجابة، وعلامات الشقاوة والسعادة.

تنتقل السورة إلى مهمة النبي صلى الله عليه وسلم في التذكير بالدعوة، حيث يُختبر الإنسان في استجابته للوحي، ويكون جزاؤه مرتبطًا باختياره وسعيه وفقًا لميزان العدل الإلهي ، ثم يربط القرآن الكريم هذه الحقائق بما جاء في الرسالات السابقة، ليؤكد وحدة المنهج الإلهي عبر العصور.

وهكذا، نجد أن السورة الكريمة بموضوعاتها الثلاثة مترابطة ومتناسقة، حيث تؤدي كل مرحلة إلى التي تليها في تناغم بديع، ونسيج قرآني متكامل، يقدم نموذجًا فريدًا للهداية الربانية التي تقود الإنسان إلى الفلاح والسعادة الأبدية.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من جاءنا بالهدى والبينات، وعلى آله وصحبه أولى المناقب والمكرمات.

أما بعد: فهذه أبرز نتائج البحث وتوصياته، وهي كالآتي:

أولاً: النتائج:

- تبرز دراسة التناسق الموضوعي إحكام البناء القرآني وترابط آياته، مما يكشف عن كونه نظمًا إلهيًا متكاملًا يحمل الهداية والحكمة، وليس مجرد نصوص متفرقة.
- السورة القرآنية ليست مجرد مجموعة من الموضوعات، بل هي نسيج متماسك، حيث تدعم كل آية الأخرى، وتخدم كل مقاطعها السياق العام، مما يمنحها وحدة مترابطة وثابتة.
- يُظهر التناسق الموضوعي التناغم الفريد في نسق القرآن، حيث تظهر كل سورة كوحدة متكاملة تجمع بين روعة البلاغة ودقة التشريع بإتقانٍ لا نظير له.
- يكشف التناسق الموضوعي عن الروابط العميقة بين الآيات، مما يساعد في استنباط المعاني الدقيقة وتوضيح المحاور الرئيسة لكل سورة.
- توفر هذه الدراسة حجة دامغة ضد ادعاءات الطاعنين في القرآن، الذين يرون أن موضوعات السور متفرقة، بينما تؤكد مدى إحكامها واتصالها كالبنيان المرصوص.
- يسهم تحليل التناسق الموضوعي في استخلاص الوحدة الموضوعية لكل سورة، مما يؤدي إلى فهم أعمق لأهدافها ومحاورها الكبرى،

وإبراز التناسق بين أجزائها.

- تؤكد هذه الدراسة أن كل آية ومقطع في السورة يخدم هدفها الأساسي، مما يجعلها بنيانًا متكاملًا، لا يمكن فصل أجزائه دون فقدان جماله وتمامه.

ثانيا : التوصيات

- أوصي الباحثين والدارسين بتكثيف جهودهم في دراسة سورة الأعلى، سعياً لإبراز معانيها العظيمة وأسرارها البديعة التي تسهم في تعميق الفهم لمقاصدها ودلالاتها.
- ينبغي أن يحظى التناسق الموضوعي في القرآن الكريم بعناية خاصة من قِبَل الباحثين، لما له من أهمية في كشف كنوز هذا الكتاب العظيم. فالوقوف على أسرار اختيار الكلمات والتراكيب، واستقصاء الروابط الدقيقة بين بدايات الآيات وخواتيمها وموضوعاتها، يكشف عن عمق الإعجاز القرآني ويثري الدراسات القرآنية.
- كما أُوصي بإعداد دراسات علمية معاصرة تسلط الضوء على الجوانب البلاغية واللطائف التفسيرية لسور القرآن الكريم، فهذه الجهود بجانب مواجهة الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام، من شأنها أن ترسخ فهم النص القرآني، وتُبرز صلته بحياة المسلمين في كل زمان ومكان.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٤ م.

- الإكليل في استنباط التنزيل للإمام: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب- دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- أساس البلاغة للزمخشري، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- أسرار ترتيب القرآن " لجلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبوالقاسم محمود بن عمرين الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

-المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أحمد الزيات ، محمد النجار)وغيرهما ،الناشر: دار الدعوة .

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

- البحر المحيط المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.

- البيان في عد آي القرآن تأليف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبوعمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) تحقيق: غانم قدوري الحمد - الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م

-التحرير والتنوير المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر.

- التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه د. زياد بن خليل الدغامين ، عمان، ط١، ١٤٠٨هـ، ٢٠٠٧م.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى

- الجامع الصحيح تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر-الناشر: دار طوق النجاة -الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

- الرسالة التبوكية تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)نحقيق: محمد عزير شمس- إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد-الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة-الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزالمؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت،١٤١٢هـ.

- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم تأليف : محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ) اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني- الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)المحقق: محمد علي النجار،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

-تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت: (٧٧٤هـ): المحقق: سامي بن محمد سلامة -الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت: (٧٧٤هـ): المحقق: سامي بن محمد سلامة -الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

-تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)- تحقيق: يوسف علي بديوي ، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنانتأليف: عبد الرحمن بن ناصر

ابن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا – الناشر: مؤسسة الرسالة–الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

–جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد،أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

–زاد المسيرفي علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت –الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ

– شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان– الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

– صحيح مسلم تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

– فتح القدير للإمام: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

– فتح القدير للإمام: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –

دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ

– لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور(المتوفى: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر– بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

– مختار الصحاح ، للعلامة أبى عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الخلفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، ط٣، بيروت ، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م

– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

– مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور تأليف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض– الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م

–معجم مقاييس اللغة ،المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)المحقق:عبدالسلام هارون،دار الفكر١٩٧٩م.

–مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

– مناهل العرفان في علوم القرآن" محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٤٨١هـ.

–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

SOURCE AND REFERENCES

Mastery in the sciences of the Quran author: Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d: 911 Ah)investigator: Mohammed Abu al-Fadl Ibrahim publisher: Egyptian General Authority for the book in 1974 AD .

- The diadem in deducing the download for Imam: Abdul Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d.: 911 Ah)investigation: Seif al-Din Abdul – Kader Al - Kateb-Publishing House: House of scientific books-Beirut, 1401 Ah-1981 ad.

-The basis of rhetoric for zamakhshari, zamakhshari Jarallah (d.538h) investigation: Mohammed Basil Oyoun El – sudood, House of scientific books, Beirut-Lebanon 1419h/1998g.

-The secrets of the arrangement of the Koran " by Jalal al-Din al-Suyuti, investigation of Abdel Kader Ahmed Atta, Dar Al-istisam, Cairo, Egypt, second edition ٥٠ them ым

-Revealing the facts of downloading and the eyes of gossip in the faces of interpretation author: Abu Al – Qasim Mahmoud Ibn Umar ibn zamakhshari Jarallah (d.: 538 Ah)publisher: Arab Book House - Beirut third edition-1407 Ah.

-Intermediate dictionary author: Arabic language complex in Cairo (Ahmed Al-Zayat, Mohammed al-Najjar) and others, publisher: Dar Al-Dawa.

-Download lights and secrets of interpretation, by Naser al-Din Abu said Abdullah Bin Omar ibn Muhammad al-Shirazi Al-baydawi (deceased: 685 Ah), investigator: Muhammad Abdul Rahman Al – marashli, publisher: House of revival of Arab heritage - Beirut, first edition-1418 Ah.

-The surrounding sea author: Abu Hayyan Muhammad Bin Yusuf bin Ali bin Hayyan Athir al-Din al-Andalusi (d.: 745 Ah)investigator: sadqi Muhammad Jamil publisher: Dar Al – Fikr-Beirut edition: 1420 Ah.

-The statement in the verse of the Quran authored by: Othman bin Said Bin Othman bin Omar Abu Amr al-Dani (deceased: 444 Ah) investigation: Ghanim Qaduri Al-Hamad-publisher: manuscripts and Heritage Center-Kuwait, first edition, 1414 Ah - 1994 ad

-Liberation and enlightenment author : Mohammed Al-Taher Bin Mohammed bin Ashour al-Tunisi (d.: 1393 Ah) publisher: Tunisian publishing house.

-Objective interpretation and research methodology. Ziad bin Khalil al-daghamin, Amman, floor 1 ٥٠ e م، um.

-Intermediate interpretation of the Holy Quran by the virtue of Professor Dr.: Mohammed Sayed Tantawi publisher: Nahdet Misr printing, publishing and distribution house, al-fajala-Cairo, first edition :

-The correct mosque authored by: Mohammed bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-jaafi investigator: Mohammed Zuhair bin Nasser-publisher: Dar Touq Al-Najat-first edition, 1422 Ah.

-The collector of the provisions of the Qur'an by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al – Ansari al - Qurtubi author : Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (deceased : 671 Ah) investigation: Ahmed Al-bardoni and Ibrahim atfishh, publisher: Egyptian Book House-Cairo, second edition, 1384 Ah-1964 ad .

-The prophetic message authored by: Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Qayyim Al-jawziya (659 - 751) we investigate: Muhammad Uzair Shams-supervision: Bakr ibn Abdullah Abu Zaid-publisher: Dar Alam Al-mayadid-Mecca-first edition, 1425 Ah

-Colleges a dictionary of terms and linguistic differences, author: Ayoub bin Musa al – Husseini al-kafawi (d.: 1094 Ah)investigator: Adnan Darwish, Resalah Foundation-Beirut.

-The brief editor in the interpretation of the Dear bookauthor: Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghalib bin Abdul Rahman bin

Tamam bin Attiyah Andalusi warrior (d.: 542 Ah)investigator: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad publisher: House of scientific books – Beirut edition: first - 1422 Ah.

-Vocabulary in the Qur'an by Raghib Isfahani (d.502 Ah), investigation: Safwan Adnan Daoudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, Damascus, Beirut, 1412 Ah.

-The Great News new insights in the Holy Quran authored by : Muhammad bin Abdullah Daraz (deceased:1377 Ah) looked after by: Ahmed Mustafa fadliya, presented to him by: A. Dr. Abdul Azim Ibrahim al-mutaani-publisher: Dar Al-Qalam for publishing and distribution, edition 1426h-2005g

-The mediator in the interpretation of the glorious Quran the mediator in the interpretation of the glorious Quran authored by: Abu al-Hassan Ali bin Ahmed bin Mohammed bin Ali al-Wahidi, Al-naisaburi, Al-Shafi'i (d.: 468 Ah) publisher: House of scientific books, Beirut-Lebanon, First Edition, 1415 Ah - 1994 ad

-Insights of those with discrimination in the sects of the Dear Book Author: Majd al-Din Abu Taher Muhammad ibn ya'qub Al-fairuzabadi (d. 817 Ah) investigator: Muhammad Ali al-Najjar, publisher: Supreme Council for Islamic Affairs Committee for the revival of Islamic heritage, Cairo.

-Tafsir Abu Al-Saud (guidance of the sound mind to the advantages of the holy book)author: Abu Al – Saud Al-Emadi Mohammed bin Mohammed bin Mustafa (d: 982 Ah)publisher: House of revival of Arab heritage-Beirut.

-Interpretation of the great Qur'an by Abu al-Fida Imad al - Din Ismail Ibn Kathir (t٧٧٤) : e): investigator: Sami bin Muhammad Salama-publisher: Taiba publishing house for publishing and distribution, second edition: 1420 Ah-1999 ad.

-Interpretation of the great Qur'an by Abu al-Fida ' Imad al-Din Ismail Ibn Kathir (t٧٧٤) : e): investigator: Sami bin Muhammad Salama-publisher: Taiba publishing house for publishing and distribution, second edition: 1420 Ah-1999 ad

-Interpretation of the gardens of the spirit and basil in the Rawabi Sciences of the Koran author: Sheikh Allama Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Armi Al-Alawi Al-Shafi'i supervision and review: Dr. Hashim Muhammad Ali bin Hussein Mahdi,

publisher: Dar Touq Al-Najat, Beirut-Lebanon, First Edition, 1421 Ah - 2001 ad.

-Interpretation of the download and the facts of interpretation author: Abu al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud Hafiz al-Din al-Nasfi (deceased: 710 Ah) - investigation: Yusuf Ali Badawi, publisher: Dar Al-Kalm al-Tayeb, Beirut, first edition, 1419 Ah-1998 ad .

-Facilitation of Karim al-Rahman in the interpretation of the words of Al-manantauthor: Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah Al-Saadi (deceased: 1376 Ah), investigation: Abdul Rahman bin Mualla-publisher: Al-Risala foundation-first edition: 1420 Ah - 2000 AD

-The collector of the statement in the interpretation of the Quran Muhammad Bin Jarir bin Yazid, Abu Jafar al-Tabari (d.: 310 Ah)investigator: Ahmed Mohammed Shaker, the founder of the message.First edition, 1420 Ah - 2000 AD.

-The spirit of meanings in the interpretation of the great Quran and the seven muthani author: Shihab al – Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (d.: 1270 Ah)publisher: House of scientific books-Beirut edition: first, 1415 Ah .

-Zad Al-meserfi, the science of interpretation author: Jamal al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman Bin Ali bin Muhammad al-Jawzi (d.: 597 Ah) investigator: Abdul Razzaq Al-Mahdi, publisher: Arab Book House-Beirut-first edition-1422 Ah

-Healing of the ill in matters of Justice, fate, wisdom and explanation author: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din ibn Qaim Al-jawziya (deceased: 751 Ah) publisher: Dar Al-marefa, Beirut, Lebanon-edition: 1398 Ah/1978 ad

-Sahih Muslim authored by: Muslim Ibn Al-Hajjaj Abu al-Hassan al-qushairi Al-nisaburi (deceased: 261 Ah) investigation: Mohammed Fouad Abdel Baqi, publisher: House of revival of Arab heritage-Beirut

-The opening of the Almighty to the imam: Muhammad ibn Ali ibn Muhammad ibn Abdullah Al-shawkani Al-Yamani (deceased: 1250 Ah) publisher: Dar Ibn Kathir, Dar Al - Kalm al - Tayeb-Damascus, Beirut, first edition-1414 Ah.

-The opening of the Almighty to Imam: Muhammad Bin Ali bin

Muhammad bin Abdullah Al-shawkani Al-Yamani (deceased: 1250 Ah) publisher: Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalm al-Tayeb-Damascus, Beirut, first edition - 1414 Ah

-The tongue of the Arabs author: Muhammad Bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din ibn Manzoor (deceased: 711 Ah)publisher: Sadr House-Beirut edition: the third - 1414 Ah .

-Mukhtar al-Sahah, for the sign Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir al-Khalif Al-Razi (deceased: 666 Ah), floor 3, Beirut, Modern Library, 1999

-Walkways between the Houses of you we worship and you we seek the help of Imam Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din ibn Qayyim Al-jawziya (deceased: 751 Ah) investigator: Muhammad Al – Mu'tasim by Allah al - Baghdadi, publisher: Arab Book House-Beirut, third edition, 1416 Ah-1996 ad.

-The Musnad of Imam Ahmed bin Hanbal, investigation: Shoaib Al-arnawut and others, Al-Risala Foundation, 2001.

-Viewing elevators to supervise the purposes of the fence authored by: Ibrahim Bin Omar Bin Hassan Rabat bin Ali bin Abi Bakr al-buqai (deceased: 885 Ah), publishing house: library of knowledge-Riyadh-first edition: 1408 Ah - 1987 ad

-Dictionary of language standards, author: Ahmed bin Fares Bin Zakaria al-Qazwini Al-Razi, Abu al-Hussein (d.: 395 Ah)investigator:Abdul Salam Harun, Dar Al-Fikr, 1979 .

-Keys of the unseen author: Abu Abdullah Mohammed bin Omar Bin Hassan bin Hussein al-Timi Al-Razi aka Fakhr al-Din al-Razi (d.: 606 Ah)publisher: House of revival of Arab heritage – Beirut edition: III - 1420 Ah.

-Manahil Al-Irfan in the sciences of the Quran" Muhammad Abdul Azim Al-zarqani (t 1376e), Isa Al-Babi al-Halabi & co.press, Vol. 3, 1481 Ah.

-Organized the lessons in proportion to the verses and surahs author: Ibrahim Bin Omar Bin Hassan Rabat bin Ali bin Abi Bakr al-Baqai (d: 885 Ah)publisher: Islamic Book House, Cairo.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الملخص باللغة العربية.	٣٩١١
٢	Abstract	٣٩١٢
٣	المقدمة	٣٩١٣
٤	التمهيد: التعريف بسورة الأعلى.	٣٩١٧
٥	المبحث الأول: التعريف بالتناسق الموضوعي وثمرة دراسته.	٣٩٢٥
٦	المطلب الأول: تعريف التناسق الموضوعي.	٣٩٢٥
٧	المطلب الثانى: ثمرة دراسة التناسق الموضوعي في السورة.	٣٩٢٧
٨	المبحث الثانى : التناسق الموضوعي بين آيات سورة الأعلى.	٣٩٣٠
٩	المطلب الأول: التناسق في التنزيه والخلق والتقدير والهداية. في الآيات (١-٥)	٣٩٣١
١٠	المطلب الثانى: التناسق في التثبيت والوحي والإعداد للرسالة في الآيات (٦-٨)	٣٩٣٦
١١	المطلب الثالث: التناسق في الدعوة والإستجابة وعلامات الشقاوة والسعادة في الآيات (٩-١٩).	٣٩٤١
١٢	الخاتمة	٣٩٥٠
١٣	المصادر والمراجع	٣٩٥٢
١٤	فهرس الموضوعات	٣٩٦٢

تم بحمد الله تعالى